القول الجامع
في معنى الجزع والجازع

تأليف
سماحة الشيخ صالح آل جواد الجمري

القول الجامع

في معنى الجزع والجازع

القول الجامع

في معنى الجزع والجازع

تأليف

سماحة الشيخ صالح آل جواد الجمري

■ **هوية الكتاب:**

الكتاب: القول الجامع في معنى الجزع والجازع .

المؤلف: سماحة الشيخ صالح آل جواد الجمري.

الطبعة: الأولى (**١٤٤٢هـ/ ٢٠٢١م**).

الإخراج الفني: الكليم جرافك:

mohd.he@gmail.com

+973 36577227

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على محمَّد وآله الطيبين الطاهرين

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، وصلى الله على سيّدنا ونبيّنا محمدٍ وآله الطاهرين.

لم يستوقفني عنوان الجزع في النصوص على كثرته فيها بقدر ما استوقفتني نسبة الجزع إلى المعصومين عليهم السلام، أنبياء وأوصياء، بل ملائكةً، ونسبة أفعالنا إلى الجزع على المولى أبي عبدالله عليه السلام.

فما هي حقيقة الجزع؟

وما وجه صحّة النسبة إلى المعصوم؟

وكيف صحّ تعلّق الأمر به والنهي عنه وهو أمرٌ قلبيّ خارج عن قدرة المكلّف؟

وما هي صور الجزع وتجلّياته؟

وما الضابطة في الفعل الجزعيّ المأذون به في مصائب أبي عبدالله الحسين عليه السلام.

هذه جهات خمس أحاول أن أتطرق إليها في هذه الرسالة التي سميتها:

(القول الجامع في معنى الجزع والجازع)

والله وليّ التوفيق.

مفهوم الجزع لغة

قال في اللّسان: «الجزع نقيض الصبر، جزِع بالكسر يجزَع جزَعاً، فهو جازعٌ وجزِع وجَزُوع، وقيل إذا أكثر منه الجزع فهو جزوع...

وأجْزَعه الأمر قال أعشى باهلة:

فـإنْ جزِعنا فإنّ الـشرَّ أجزَعنا وإنْ صَبرنـا فإنّـا معْـشرٌ صُبُرُ

وفي الحديث: لمّا طُعِن عُمَرُ جعلَ ابن عبّاس رضي الله عنهما يُجْزعه، قال ابنُ الأثيرِ: أي يقولُ له ما يُسلّيه ويُزيلُ جزعه وهو الحُزن والخوف»[1]

أقول: أجزع في شعر الأعشى بمعنى جعله يجزع، وفي

---

١ - **لسان العرب** ص ٢٧٤: مادّة جزع.

الحديث المذكور بمعنى أزال جزعه، فالهمزة الداخلة على الجزع الأول، للتعدية، وعلى الجزع الثاني للسلب، أمّا تفسير ابن الأثير للجزع بالحزن والخوف فليس بسديد، لأنّهما منشئان للجزع، لا أنّه الحزن والخوف.

وقال في المقاييس: «**الجيم والزاء والعين: أصلان، أحدهما الانقطاع، والآخر جوهرٌ من الجواهر، فأمّا الأوّل فيقولون: جزعتُ الرّملةَ إذا قطعتَها، والجزعُ نقيض الصبر وهو انقطاع المُنّة عن حَمْل ما نزل**»[1]

والمنّة القوّة ومنهم من خصّصها بقوّة القلب.

١- **مقاييس اللغة** ص١٦٣-١٦٤: مادّة جزع.

مفهوم الجزع اصطلاحاً

التعريف الأوّل: ما ذكره الراغب الأصفهاني في مفرداته حين قال: «الجزع أبلغ من الحزن، فإن الحزن عامّ، والجزع هو حزنٌ يصرف الإنسان عمّا هو بصدده ويقطعه عنه»[1].

التعريف الثاني: ما ذكره أبو الهلال العسكري في الفروق اللغويّة حيث قال: «الجزع إظهار ما يلحق المصابَ من المضض والغمّ»[2]

التعريف الثالث: ما ذكره السيّد عبدالله الجزائري في التحفة السنيّة: «الجزع والهلع وهو إطلاق داعي الهوى ليسترسل في رفع الصوت ولطم الوجه وشقّ الجيب ونحوها»[3]

١- **مفردات ألفاظ القرآن** ص١٩٥: مادّة جزع.
٢- **الفروق اللغويّة** ص٢٠٠: الفرق بين الحلم والصبر.
٣- **التحفة السنيّة في شرح النخبة الحسينيّة** ص٤٣: باب الصبر.

وهو ما ذهب إليه جامع السعادات حيث قال: «وهو إطلاق دواعي الهوى من الاسترسال في رفع الصوت، وضرب الخدود، وشقّ الجيوب أو ضيق الصدر والتبرّم والتضجّر»[1]

ولنا في جميع ما تقدّم نظرٌ:

أمّا التعريف الأوّل: فقد عرّف الجزع بنوع من الحزن، مع أنّ الحزَن من مناشئ الجزع -على ما سيأتي- لا أنّه عين الجزع وحقيقته.

وأما التعريف الثاني: فغير جامعٍ، إذ اقتصر على إظهار المصاب لمضضه وغمّه، ولم يتناول ما يظهرُ عليه قهراً دون إرادةِ إظهاره لشدّة ما لحق به، كالإغماء مثلاً.

وأما التعريف الثالث: فيردّه أن ليس كلُّ جزعٍ هو إطلاق داعي الهوى، يدلّك على ذلك نسبة الجزع إلى المعصومين أنبياءً وأئمةً صلوات الله عليهم أجمعين، والروايات بذلك متضافرة، إلّا أن يحملَ الجزع فيها على غير ما ذكره من المعنى.

والذي نراه أوفق وأجمع بعد التتبع لموارد استعمال لفظ الجزع

١- **جامع السعادات** ج٢ ص٤٣٦: المقام الرابع، الجزع.

في اللغة والروايات والآيات القرآنيّة، تعريفه بأنّه: اضطراب النفس إمّا خوفاً أو حُزناً، وتجلّي ذلك في أفعالٍ وأحوالٍ يراها العرف معبّرةً عن اضطرابها.

وهذا التعريف هو عين ما روي عن الصادق عليه السلام في حديث طويل قال: «وتفسير الجزع: اضطراب القلب، وتحزن الشخص، وتغيّر السكون، وتغيير الحال، وكل نازلةٍ خلت أوائلها عن الإخبات والإنابة والتضرّع إلى الله عزّ وجلّ، فصاحبها جزوعٌ غير صابر»[1]

وهذه الرواية تجعل الجزع صادقاً على واحدٍ من أربعة أحوال؛ اضطراب القلب -وقد عبّرنا عنه باضطراب النفس- وعلى تحزّن الشخص وتغيرّ السكون وتغيير الحال، وهذه الثلاثة جمعها ما قلناه من تجلي ذلك في أفعالِ وأحوالِ الجازع.

وقد يُقال بأنّ الجزعَ يختصّ بما جمعَ هذه الأمور الأربعة، فلا يصدق ما لم يتحقّق جميعها، فهي كأركان الجزع، إلا أنه بعيد، إذ يصحّ إطلاق الجازع على من توفّر فيه بعضها، كما لا

١- المستدرك ج٢ ص٤١٥: الباب ٦٤ من أبواب الدفن ح٣٢.

يصحّ سلبه عن فاقدِ بعضها.

ويمكن أن يُقال: إنّ اضطراب القلب عند نزول الشديدةِ وحلول البلاء ركنٌ ركين في تحقّق الجزع وصدقِه دونَ الأمور الثلاثة الأُخر، فإنّها مصاحباته ومقارناته، وقد تنفكّ أحياناً -وهذا ما نراه- .

ثمّ إنّ اضطراب القلب - أو اضطراب النفس- مفهوم مشكّك يختلف باختلاف طبائع النفوس ويتفاوت ضعفاً وشدّة تبعاً لذلك ولغير ذلك من المقتضيات الموجبة للتفاوت، فلا استواء بين جزع المرأة والرجل والجاهل والعالم أو غير المعصوم والمعصوم، فإن جزعَ كلٍّ بحسبه، ولهذا صحّ نسبة الجزع إلى المعصوم بحسب نفسه القُدُسيّة وعقله الكامل، ولا يصحّ نسبة الجزع إليه بحسب النفس البشريّة العاديّة والعقل الناقص، فجزعُ المعصوم أو اضطرابُ قلبه لا يخرجه عن الصراط المستقيم الذي هو أدقّ من الشعرة وأحدّ من السيف بخلاف جزع غير المعصوم.

أما جعل الجزع عدم الصبر وفقدان المنّة فلا أراه صحيحاً؛

وذلك لأن الجزع معنىً وجوديّ وعدمَ الصبر معنىً عدميّ وليس أحدهما عين الآخر، هذا إلى أنّ عدمَ الصبر يلازم الجزع والكسل وغلبة الهوى؛ فإنّه من غلب عليه الهوى لم يصبر عن المعصية ومن كسل لم يصبر على طاعة، وهما ليسا من مصاديق الجازع قطعاً رغم أنّهما فاقدا الصبر، هذا مع افتراقهما في بعض الموارد كجزع المعصوم الذي لا يعدّ فقداناً للصبر ولا تركاً له.

لوازم الجزع وآثاره

لقد وردت روايات عدة تنهى عن الجزع عند حلول البلاء وتأمر بالصبر والرضا بقضاء الله وقدره، وقد عقد في الوسائل لذلك أبواباً منها باب عدم جواز الجزع عند المصيبة مع عدم الرضا بالقضاء وقد اشتمل هذا الباب على خمسة أحاديث نذكر منها اثنين:

ما رواه في الكافي مرسلاً عن أبي عبدالله عليه السلام -في الحديث- «**أنّ ملك الموت قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا محمد إنّي أقبض روح ابن آدم فيجزع أهله، فأقوم في ناحيةٍ من دارهم فأقول ما هذا الجزع؟! فوالله ما تعجّلناه قبل أجله، وما كان لنا في قبضه من ذنب، فإن تحتسبوه وتصبروا تؤجروا، وإن تجزعوا تأثموا وتوزروا**»[1]

١- **الوسائل** ج٢ ص٩١٣: الباب ٨٠ من أبواب الدفن ح٤.

وما رواه في الكافي عن عليّ بن محمد عن صالح بن أبي حمّاد رفعه قال: جاء أمير المؤمنين عليه السلام إلى الأشعث بن قيس يعزّيه بأخٍ له فقال له: «**إن جزعت حقّ الرحم أتيت، وإن صبرتَ حقّ الله أدّيت، على أنّك إن صبرت جرى عليك القضاء وأنت محمود، وإن جزعت جرى عليك القضاء وأنت مذموم**»[1]

وقد ذكرت بعض الروايات علّة أو حكمة النهي عن الجزع، كالخبر الوارد في دعائم الإسلام عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «**إيّاك والجزع فإنّه يقطع الأمل، ويضعف العمل، ويورث الهمّ، واعلم أنّ المخرج في أمرين: ما كان فيه حيلةٌ فالاحتيال، وما لم يكن فيه حيلة فالاصطبار.**»[2]

وفي المستدرك عن الصادق عليه السلام قال: «**الصبر يظهر ما في بواطن العباد من النور والصفاء، والجزع يظهر ما في بواطنهم من الظلمة والوحشة، والصبر يدّعيه كلّ أحدٍ ولا يبينُ (عند أحد) إلّا المخبتين والجزع ينكره كلّ أحدٍ وهو أبين على المنافقين، لأن**

١- **الكافي** ج٣ ص ٢٦١ باب النوادر من كتاب الجنائز ح٤٠ .
٢- **المستدرك** ج٢ ص٤٢١: الباب ٦٤ من أبواب الدفن ح٩ .

نزول المحنة والمصيبة يخبر عن الصادق والكاذب ، وتفسير الصبر ما يستمرّ مذاقه، وما كان عن اضطراب لا يسمّى صبرا، وتفسير الجزع: اضطراب القلب، وتحزن الشخص، وتغيّر السكون، وتغيير الحال، وكل نازلةٍ خلت أوائلها عن الإخبات والإنابة والتضرّع إلى الله عزّ وجلّ، فصاحبها جزوعٌ غير صابر، والصبر: ما أوّله مرّ وآخره حلوٌ لقوم، ولقومٍ مرٌّ أوّله وآخره، فمن دخله من أواخره فقد دخل ومن دخله من أوائله فقد خرج ومن عرف قدر الصبر لا يصبر عمّا منه الصبر، قال الله عزّ من قائل في قصّة موسى والخضر عليهما السلام: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾ فمن صبر كرها ولم يشْكُ إلى الخلق، ولم يجزع بهتك ستره ، فهو من العامّ ونصيبه ما قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ أي بالجنّة، ومن استقبل البلاء بالرحب فصبَر على سكينة ووقار فهو من الخاصّ ونصيبه ما قال الله عزّوجلّ: ﴿إِنَّ اللهَّ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾»[1] وقد ذكرتُ هذا الحديث بطوله لما فيه من الفائدة.

فمما ذكرناه من روايات يظهر لنا أن بعض الجزع من

---

١ - **المستدرك** الباب ٦٤ من أبواب الدفن ح٣٢: ج٢ ص٤٢٨.

موجبات الإثم، ولذا يحرم وهو الجزع المصاحب والملازم لردّ القضاء والقدر، وعدم الرضا بما قدّره الله، والمصاحب لمعصيّة من المعاصي بالقول أو الفعل، وذلك لقوله في الرواية «**وإن تجزعوا تأثموا وتوزروا**».

كما أنّ بعض الجزع من موجبات الذمّ، فيكره لذلك قال: «**وإن جزعت جرى عليك القضاء وأنت مذموم**» ويمكن أن تكون هذه الرواية أعمّ من الجزع المكروه والمحرّم، لأنّ الذمّ عنوان يجمعهما.

ثمّ إنّ خبر الدعائم وخبر المستدرك يذكران ما يلازم الجزع وما يترتّب عليه من آثار، ففي خبر الدعائم «**أنّه يقطع الأمل ويضعف العمل، ويورث الهمّ**» وفي خبر المستدرك أنّه «**يظهر ما في بواطنهم -أي العباد- من الظلمة والوحشة**»

ومن الواضح جدّاً أنّ هذه اللوازم والآثار هي الموجبة للإثم والوزر والذمّ، فتختصّ هذه اللوازم بجزع غير المعصومين، فإنّ باطن المعصوم ليس فيه إلّا النور والصفاء، وجزعه إذا كان منه

جزعٌ لا يقطع أمله ولا يضعف عمله ولا يورثه الهمّ، ويمكن أن يستفاد تعليل النهي عن الجزع لمقارنة هذه الأمور له بأنّ الجزع الذي لا تترتب عليه هذه الآثار فلا تخرج ظلمة الباطن ولا وحشته بل يظهر نور الباطن وصفاءه جزعٌ غير مكروه كجزع المعصوم -كما قلنا- والجزع على أبي عبدالله عليه السلام، والجزع الموجب للبكاء، فإنّ البكاء البكاء تعبيرٌ عن الرقّة والرحمة ولبيستا من ظلمة الباطن ولا وحشته، ففي الخبر عن علي عليه السلام، قال: «**يكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند موت بعض ولده فقيل: يا رسول الله تبكي وأنت تنهانا عن البكاء؟ فقال لم أنهكم عن البكاء، وإنّما نهيتكم عن النوحِ والعويل، وإنّما هي رقةٌ ورحمة، يجعلها الله في قلب من يشاء من خلقه ويرحم من يشاء، وإنّما يرحم من عباده الرحماء**».

نسبة الجزع إلى المعصوم

لقد تكرر -آنفاً- بأنّ كثيراً من الروايات اشتملت على نسبة الجزع إلى الملائكة والأنبياء والأئمة والسيّدة فاطمة صلوات الله عليهم أجمعين وفي هذا الفصل بعضُ تلك الروايات:

ما عن أبي عبدالله عليه السلام قال: دخلت فاطمةُ عليها السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعيناه تدمع فسألته مالك؟ فقال: إنّ جبرئيلَ عليه السلام أخبرني: أنّ أمتي تقتلُ حسيناً، فجزعتْ وشقّ عليها فأخبرها: بمن يملكُ من وِلدها فطابت نفسها وسكنت.[1]

فقد نسبت هذه الرواية الجزع لفاطمةَ عليها السلام بالمعنى الذي ذكرناه وهو اضطراب النفس بقرينة «**فطابت نفسها وسكنت**» والسُكون بعد الاضطراب.

١- **كامل الزيارات** الباب١٦ ح٨: ص١٢٥ .

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ جبرئيل عليه السلام أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والحسين يلعبُ بين يديه فأخبره أنّ أمته ستقتله قال: فجزع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»[1]

وعن أبي عبدالله عليه السلام في حديثٍ طويل «...**أنّ الملائكةَ سألت الله في نصرته فأذن لهم، فمكثت تستعّد للقِتال وتأهّبت لذلك حتّى قُتل، فنزلت الملائكة، وقد انقطعت مّدته وقُتل عليه السلام فقالت الملائكة: يا ربّ أذنت لنا بالانحدار وأذنت لنا في نصرته فانحدرنا وقد قبضتَه، فأوحى الله تبارك وتعالى إليهم أن الزموا قبّته حتّى ترونَه وقد خرج فانصروه، وابكوا عليه على ما فاتكم من نصرته وأنّكم خُصصتم بنصرته والبكاء عليه، فبكت الملائكة حزناً وجزعاً على ما فاتهم من نصرة الحسين عليه السلام، فإذا خرجَ يكونوا من أنصاره**»[2]

وعن صفوان الجمّال عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سألته في طريق المدينة ونحن نريد مكّة فقلت: يا بنَ رسول الله مالي أراك

١- **كامل الزيارات** الباب ١٧ ح١: ص١٢٩.

٢- **كامل الزيارات** الباب ٢٧ ح٢٠: ص ١٧٨-١٧٩.

كئيباً حزيناً منكسِراً فقال: «**لو تسمع ما أسمع لشُغلت عن مسألتي، قلت: فما الذي تسمع؟ قال: ابتهالُ الملائكة إلى الله عزّوجلّ على قتلةِ أمير المؤمنين وقتلةِ الحسين عليه السلام، ونوحُ الجنّ وبكاء الملائكة الذين حولَه وشدّةِ جزعهم، فمن يتهنّأ مع هذا بطعام أو بشراب أو النوم**» وذكر الحديث[1]

فكونه كئيباً حزيناً منكسراً تعبير آخر عن جزعه عليه السلام.

عن قُدامة بن زائدة عن أبيه قال: قال علي بن الحسين عليه السلام: بلغني يا زائدةُ أنّك تزور قبر أبي عبدالله الحسين عليه السلام أحياناً فقلت: «**إنّ ذلك لكما بلغك**» إلى أن قال عليه السلام: «**فإنّه لمّا أصابنا بالطفّ ما أصابنا وقُتل أبي عليه السلام وقتل من كان معه من ولده وأخوته وسائر أهله وحملت حرمه ونساؤه على الأقتاب يراد بنا الكوفة فجعلتُ أنظر إليهم صرعى ولم يواروا، فعظم ذلك في صدري واشتدّ لما أرى منهم قلقي، فكادت نفسي تخرج، وتبنيت ذلك مني عمتي زينب الكبرى بنت عليّ عليه السلام فقالت: مالِيَ أراك تجود بنفسك يا بقيّة جدّي وأبي وإخوتي فقلت: كيفَ لا أجزع**

١- كامل الزيارات الباب ٢٨ ح٢٣: ص ١٨٦.

وأهلع وقد أرى سيّدي وإخوتي وعمومتي وولد عمي وأهلي مضرّجين بدمائهم مرملين بالعريّ مسلبين لا يكفّنون ولايوارون ولا يعرج عليهم أحد ولا يقربهم بشر كأنّهم أهل بيتٍ من الديلم والخزر، فقالت: لايجزعنك ما ترى»[1]

وفي حديثٍ طويل عن علي بن الحسين عليه السلام قال: «**فانصرفَ آدم عليه السلام يبكي على هابيل أربعين يوماً وليةً فلمّا جزِع عليه شكا ذلك إلى الله، فأوحى الله إليه إنّي واهبٌ لك ذكراً يكون خلفاً من هابيل فولدت حوّاء غلاماً زكيّاً مباركاً فلما كان اليوم السابع أوحى الله إليه: يا آدمُ إنّ هذا الغلامَ هبة مني لك فسمه هبةَ الله فسمّاه آدمُ هبةَ الله**»[2]

وعن أبي عبدالله عليه السلام – في حديثٍ طويل– قال: «**فلمّا رأى يونس ذلك نادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فاستجاب الله له وأمر الحوت أن يلفظه فلفظه على ساحل البحر، وقد ذهب جلده ولحمه وأنبت الله عليه شجرةً من**

١- **كامل الزيارات** في حاشية (١) من الباب ٨٨: ص٤٤٤، و**البحار** ج٢٨. ص٥٥-٥٧: كتاب الفتن والمحن الباب ٢ ح٢٣ .

٢- **البرهان** ج٢ ص٤٢٩: سورة المائدة ٢٧/ ٣١ ح٤ .

يقطين وهي الدّباء، فأظلّته عن الشمس فشكَر ثمّ أمرَ الله الشجرةَ فتنحتُ عنه ووقعت الشمسُ عليه فجزِع فأوحى الله إليه: يا يونس لِمَ لمْ ترحم مائةَ ألفٍ أو يزيدون وأنت تجزع من ألم ساعة فقال: ربّ عفوَك عفوَك..»[1]

عن سدير الصيرفي قال: دخلتُ أنا والمفضّل بن عُمر وأبو بصير وأبان بن تغلب على مولانا أبي عبدالله جعفر بن محمد عليه السلام فرأيناه جالساً على التراب وعليه مسح خيبريّ مطوّق، بلا جيب، مقصّر الكمين وهو يبكي بكاء الواله الثكلى ذات الكبِد الحرّى، قد نالَ الحزن من وجنته وشاع التغيّر في عارضيه وأبلتِ الدموع محجريه وهو يقول: «**سيّدي غيبتُك نفت رقادي، وضيّقت عليّ مهادي، وابتزّت مني راحة فؤادي، سيّدي غيبتك وصلت مصابي بمفاجع الأبد، وفقدُ الواحِد بعدَ الواحد يفني الجمع والعدد، فما أحسّ بدمعةٍ ترقى من عيني وأنين يفتر من صدري عن دوارج الرزايا وسوالف البلايا إلّا مثل بعيني عن غوابر أعظمها وأفظعها، وبواقي أشدّها وأنكرها، ونوائب مخلوطة بغضبك، ونوازل معجونة بسخطك**».

---

١ - البرهان ج٤ ص٥٩: سورة يونس ٩٥/ ٩٨ ح٤.

قال سدير: فاستطارت عقولنا ولها، وتصدّعت قلوبنا جزعاً من ذلك الخطب الهائل، والحادث الغائل، وظنّنا أنّه سمّت لمكروهة قارعة، أو حلّت به من الدهر بائقة، فقلنا: لا أبكى الله يا ابن خير الورى عينيك من أيةِ حادثةٍ تستنزف دمعتك وتستمطر عبرتك؟ وأيّ حالةٍ حتّمت عليك هذا المأتم.

قال: فزفَر الصادق عليه السلام زفرةً انفتحَ منها جوفُه، واشتدّ عنها خوفه، وقال: «**ويلكم نظرتُ في كتاب الجفر صبيحةَ هذا اليوم وهو الكتاب المشتمل على علم المنايا والبلايا والرزايا وعلم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة الذي خصّ الله به محمداً والأئمة من بعده عليهم السلام، وتأمّلت منه مولد غائبنا وغيبته وإبطاءه وطولَ عمره وبلوى المؤمنين في لك الزمان، وتولّد الشكوك في قلوبهم من طول غيبته وارتداد أكثرهم عن دينهم، وخلعهم ربقَة الإسلام من أعناقهم التي قال الله تقدّس ذكره: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾ -يعني الولاية- فأخذتني الرقّة واستولت عليّ الأحزان...**»[1]

١- **البرهان** ج٥ ص٤١٥: سورة النور ٥٣/ ٥٥ ح٧.

وعن محمد بن عبدالله الكوفي قال: لما حضرت إسماعيل بن أبي عبدالله الوفاة جزع أبو عبدالله عليه جزعاً شديداً، فلما غمضه دعا بقميصٍ غسيل - أو جديد - فلبسه ثمّ تسرّح وخرج يأمر وينهى فقيل له: لقد ظننا أن لا تنتفع بك زماننا[1]، لما رأينا له جزعك، فقال: «**إنّا أهل بيتٍ نجزع ما لم ينزل المصيبة وإذا نزلت صبرنا**»[2]

عن قتيبة الأعشى قال: أتيت أبا عبدالله عليه السلام، أعود ابناً له فوجدته على الباب فإذا هو مهتمّ حزين، فقلت له: جعلت فداك كيفَ الصبيّ، فقال: «**والله لما به فمكث ساعةً**»، ثمّ خرج إلينا وقد أسفر وجهه وذهب التغيّر والحزن، قال: فطمعتُ أن يكونَ قد صلُح الصبيّ فقلتُ: كيف الصبيّ جعلت فداك؟ فقال: قد مضى لسبيله، فقلت: جعلت فداك لقد كنتَ وهو حيّ مهتمّاً حزيناً، وقد رأيت حالك الساعة وقد مات غير تلك الساعة، فكيف هذا؟ فقال: «**إنّا أهلُ بيتٍ نجزع قبل المصيبة فإذا وقعَ أمر الله رضينا**

١- وفي إكمال الدين: «**فقال له بعض أصحابه: جعلت فداك لقد ظننّا أن لا يُنتفع بك زماناً لما رأينا من جزعك**» **الوسائل ومستدركها** ج٣ ص٣٤١ الحاشية (٣).

٢- **الوسائل** ج٢ ص٩١٩: الباب ٨٥ من أبواب الدفن ح٥.

بقضائه وسلّمنا لأمره»[1]

وعن الكشّي عن إبراهيم من الخضيب قال: كتب أبو عون الأبرش قرابة النجاح بن سلمة إلى أبي محمد عليه السلام: أنّ النّاس قد استوهنوا من شقّك على ابي الحسن عليه السلام فقال: «**يا أحمق مالك وذاك قد شقّ موسى بن عمران على هارون**»[2]

وعن سعد بن عبدالله عن جماعة من بني هاشم منهم الحسن بن الحسن الأفطس: أنّهم حضروا يومَ توفّي محمد بن علي بن محمد باب أبي الحسن عليه السلام يعزّونه -إلى أن قال- إذ نظر إلى الحسن بن علي إذ جاء مشقوق الجيب حتّى قامَ عن يمينه...»[3]

فهذان الحديثان يثبتان شقّ الثوب للإمام الحسن العسكري على أبيه وأخيه عليهما السلام، ومن المعلوم أنّ شقّ الثوب فعل ظاهر في الجزع عند العرف لذلك استوهنه من استوهنه.

وعن المسعودي قال: حدّثنا الحارث بن حصيرة عن عمران بن

١- **الوسائل** ج٢ ص١٩٨: الباب ٨٥ من أبواب الدفن ح١.
٢- **الوسائل** ج٢ ص٩١٧: الباب ٨٤ من أبواب الدفن ح٧.
٣- **الوسائل** ج٢ ص٩١٦: الباب ٨٤ من أبواب الدفن ح٣.

الحصين قال: كنت أنا وعمر بن الخطّاب جالسين عند النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وعليٌّ عليه السلام جالسٌ إلى جنبه، إذ يقرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ﴿**أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللهِ قَلِيلا مَا تَذَكَّرُونَ**﴾ قال: فانتفض عليّ عليه السلام انتفاضةَ العصفور فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «**ما شأنك تجزع؟**». فقال: ومالِيَ لا أجزع والله يقول: إنّه يجعلنا خلفاء الأرض، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**لا تجزع، فوالله لا يحبّك إلّا مؤمن ولا يبغضك إلّا منافق**»[1]

عن الفضل بن شاذان قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: «**لما أمر الله تعالى إبراهيم عليه السلام أن يذبح مكان ابنه إسماعيل الكبش الذي أنزله عليه، تمنّى إبراهيم عليه السلام أن يكون قد ذبح ابنه إسماعيل بيده، وأنّه لم يؤمر بذبح الكبش مكانه ليرجع إلى قلبه ما يرجع إلى قلب الوالد الذي يذبح أعزّ ولده بيده فيستحقّ بذلك أرفع درجات أهل الثواب على المصائب، فأوحى الله عزّوجلّ إليه: يا إبراهيم من أحب خلقي إليك؟ فقال: ما خلقت خلقاً أحبّ إليّ من حبيبك محمد، فأوحى الله عزّوجلّ إليه يا إبراهيم فهو أحبّ إليك أو**

١ - البرهان ج٦ ص٣١: سورة النمل ٥٩/ ٦٢ ح٤.

نفسك؟ فقال: بل هو أحبّ إليّ من نفسي، قال: فولده أحبّ إليك أو ولدك؟ قال: بل ولده، قال: فذبح ولده ظلماً على أيدي أعدائه أوجع لقلبك أو ذبح ولدك بيدك في طاعتي؟ قال: يا ربّ بل ذبحه على يديّ أعدائه أوجع لقلبي، قال: يا إبراهيم! إنّ طائفةً تزعم أنّه من أمّة محمد ستقتل الحسين ابنه من بعده ظلماً وعدواناً، كما يذبح الكبش، فيستوجبون بذلك غضبي، فجزع إبراهيم عليه السلام لذلك وتوجّع قلبه وأقبل يبكي فأوحى الله عزّوجلّ إليه: يا إبراهيم فديتُ جزعك على ابنك إسماعيل لو ذبحته بيدك بجزعك على الحسين وقتله، وأوجبتُ لك أرفع درجات أهل الثواب على المصائب فلذلك قول الله عزّوجلّ ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾»[1]

فأنت ترى أنّ هذه الروايات تنسب الجزع إلى المعصوم بعنوانه أو بذكر آثاره ومقارناته من البكاء والانكسار والكآبة والرقّة، وقد سبق منا القول إنّ جزع كلّ نفس بحسبها، فإذا جزع الإمام عليه السلام لم يخرجه جزعه عن حدّ الصراط المستقيم، بل كيف يخرج عن الصراط وهل الصراط المستقيم إلّا هو!، أما جزع غير المعصوم فإن أخرج ظلمةَ نفسه ووحشتها وقطع أمله وأخذ غير الجادّة فذلك الجزع المكروه.

١- **البرهان** ج٦ ص٤٢١: سورة الصافات ١٠٠/ ١١٣ ح٧.

وقوع الجزع متعلّقاً للأمر والنهي

لقد مرّ بنا أنّ الجزع هو اضطراب القلب أو النفس خوفاً أو حزناً، والجزع على هذا التفسير أمرٌ لا يقعُ تحت يد الاختيار والإرادة كما هو ظاهر، فيكف صحّ أن يقعَ متعلّقاً للأمر والنهي، حيث وردت في النهي عنه روايات ليست بالقليلة، ومن ذلك:

ما عن موسى بن أشيم قال: دخلت على أبي عبدالله فسألته عن مسألةٍ فأجابني، فبينا أنا جالسٌ إذا جاءه رجلٌ فسأله عنها بعينها فأجابه بخلاف ما أجابني، ثم جاء آخر فسأله عنها فأجابه بخلاف ما أجابني وأجاب صاحبي، ففزعتُ من ذلك وعظُم عليّ فلما خرج القوم، نظر إليّ فقال: «**يا بن أشيم كأنّك جزعتَ**»، قلت: جعلني الله فداك إنّما جزعت من ثلاث أقاويل في مسألة واحدة، فقال: «**يا بن أشيم، إنّ الله فوّض إلى داوود** عليه السلام **أمر**

مُلكه فقال: ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ وفوّض إلى محمدٍ صلى الله عليه وآله وسلم أمر دينه فقال: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ فإنّ الله تبارك وتعالى فوّض إلى الأئمّة منا وإلينا ما فوّض إلى محمدٍ صلى الله عليه وآله وسلم، فلا تجزع.»[1]

فقوله: «ففزعتُ من ذلك» قيل «الفزع انقباض ونفار يعرض للإنسان من الشيء المخيف وهو من جنس الجزع»[2]، أو هو «**انزعاج القلب بتوقّع مكروهٍ عاجل**»[3]

فالفزع اضطراب القلب خوفاً، وقد نبّه الإمام إلى الجزع فقال: «**يا بن أشيم كأنّك جزعت**» فوافقه على ذلك حيث قال: «جعلني الله فداك إنّما جزعت من ثلاث أقاويل..» فالفزع من جنس الجزع كما قيل، وقد تعلّق النهي في آخر الرواية بالجزع، وهو أمرٌ غير اختياريّ.

عن ابن سنان قال دخلت على أبي الحسن موسى عليه السلام من

١- **بصائر الدرجات** ص٥٠٠ ح٢:(٥) باب ما فوّض إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فقد فوّض إلى الأئمة عليهم السلام.

٢- **الفروق اللغوية** ص٤٠٤: رقم ١٦١٤ الفرق بين الفزع والخوف.

٣- كالسابق: رقم ١٦١٥ الفرق بين الفزع والخوف والهلع.

قبل أن يقدِم العراق بسنة وعليّ ابنُه جالس بين يديه فنظر إليَّ فقال: «**يا محمد أما إنّه سيكون في هذه السنة حركةٌ فلا تجزع لذلك**»، قال: قلت: وما يكون جعلت فداك؟ فقد أقلقني ما ذكرت، فقال: «**أصير إلى الطاغية، أمّا إنّه لا يبداني منه سوء ومن الذي يكون بعده، قلت: ما يكون جعلت فداك؟ قال: يضلّ الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء ...**»[1]

عن عمرو بن أبي مسلم في حديثٍ قال: حدّثتني سيف بن الليث قال: خلّفت ابناً لي عليلاً بمصر عند خروجي عنها، وابناً لي آخر آمن منه كان وصيّي وقيّمي على عيالي وفي ضياعي، فكتبت إلى أبي محمد عليه السلام أسأله الدعاء لابني العليل فكتب إليّ: «**قد عوفيَ ابنك المعتلّ ومات الكبير وصيّك وقيّمك، فأحمد الله ولا تجزع فيحبط أجرك..**»[2] وأبو محمد هنا هو الحسن بن عليّ العسكري عليهما السلام.

ومن خطبةٍ لأمير المؤمنين عليه السلام في الجمعة قال: «**فلا**

١- **أصول الكافي** ج١ ص٣١٩: باب الإشارة والنصّ على أبي الحسن الرضا عليه السلام ح١٦.

٢- **أصول الكافي** ج١ ص٥١١: باب مولد أبي محمد الحسن بن عليّ (عليهما السلام) ح١٨.

تتنافسوا في عزّ الدنيا وفخرها ولا تعجبوا بزينتها ونعيمها، ولا تجزعوا من ضرّائها وبؤسها»[1]

قال الباقر عليه السلام لجابر: «**أوصيك بخمسٍ: إن ظُلمت فلا تظلِم، وإن خانوك فلا تخُن، وإن كذِبتَ فلا تغضب، وإن مُدحت فلا تفرح، وإن ذُممت فلا تجزع...**»[2]

إنّ النهيَ في هذه الروايات -كما ترى- سواءٌ كان نهياً مولويّاً أو إرشاديّاً، قد تعلّق بالجزع وهو على ما فسّرناه وفسّرته روايةُ الصادقِ عليه السلام أمرٌ غيرُ اختياريّ، فكيف نتصوّر تعلّق النهي به؟

والجواب: إنّ النهيَ عن العوارض القلبيّة يختلف عن النهي عن الأفعال الجوارحيّة، فإن الفعل الجوارحيّ موضوعٌ للأمر إيجاداً وللنهي إعداماً وإبقاءاً للعدم، فيُقال لمن لا يصلي، صلّ ولمن يشرب المسكر لا تشربه أي اترك شربه، وكذلك لمن لم يشربه، لأنّه إبراز الفعل من كتم العدم إلى نور الوجود واقعٌ تحت قدرةِ المكلّف كما أنّ الإبقاء عليه في ظلمةِ العدم مقدورٌ له كذلك.

١- **الفقيه** ج١ ص٤٣٠: باب ٥٧ أحكام الجمعة ح٤٥.

٢- **تحف العقول** ص٢٨٤: ما روي عن الإمام الباقر، وصيته عليه السلام لجابر بن يزيد الجعفي.

أما العوارض التي تعرض للقلب، فإنّ إيجادها بما هي هي كعارضٍ، أمرٌ خارج عن حيّز القدرة، وإنّما المقدور مقدّمات وجودها ومقتضياته، فيكون الأمر بها أمراً بتلك المقدّمات والموجبات، أو ما يترتّب عليها من أفعال اختياريّة للمكلّف، كما أنّ رفعها عن القلب بعد عروضها خارجٌ عن القدرة، والمقدور إنّما هو موجبات بقائها واستمرارها، فيكون النهي عنها نهياً عن تلك الموجبات أو عمّا يترتّب على تلك العوارض من أفعالٍ اختياريّة للمكلّف، وهذا ما نفهمه من سياق كثيرٍ من الأوامر والنواهي المتعلّقة بالعوارض القلبيّة، من قبيل الفرح والحزن، والخوف والجزع والسرور وما إليها.

فالأمر بإدخال السرور على قلب المؤمن أمرٌ بما يوجب سروره من الأفعال الاختياريّة من قبيل إغاثته وقضاء دينه، وسدّ خُلّته، وعيادته، وتسليته وما إلى ذلك، فإن أيّ فعلٍ من هذه الأفعال موجبٌ ومقتضٍ لحصولِ السرور والانشراح القلبي النوعي فالأمر بإدخال السرور لم يتعلّق بالسرور بما هو عارض من عوارض القلب، فإنّه مما لا يقع تحت القدرة حتّى يتوجه

التكليف به، بل التكليف تعلّق بمقتضياته وهي الأفعال التي توجِب سروراً في الغالب وإن لم توجب سروراً فعليّاً لمن فُعلت لأجله.

ومثل ذلك النهي عن الخوف من الأعداء، فإن الخوف إذا عرض على القلب، كان النهي عنه نهياً عمّا يترتّب عليه من أفعال الخائف، كالفرار من المعركة، أو تجبين المؤمنين وإشاعة الخوف في صفوفهم وأمثال ذلك، كما يكون النهي عنه قبل عروضه على القلب نهياً عن موجباته، كالإصغاء إلى أراجيف المنافقين والمثبّطين، وكالاسترسال مع وساوس النفس والشيطان، قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿**إنّما ذلكم الشيطان يخوّف أولياءه فلا تخافوهم وخافوني إن كنتم مؤمنين**﴾[1].

والنهي عن الجزعِ أيضاً نهيٌ عن مقدّماته وموجباته -إذا كان قبل حصوله وعروضه على القلب- وإن كان بعد وقوعه كان النهي عنه نهياً عن مقتضيات بقائه وديمومته وما يترتّب عليه من أفعالٍ وآثار تقع تحت القدرة والاختيار، فإذا قيل لك -قبل

١- **آل عمران** الآية ١٧٥.

تلبّسك بالجزع- لا تجزع فمعناه لا تجزع نفسك أي لا تدخل عليها الجزع بفعلٍ موجبٍ من موجباته، وإذا قيل لك ذلك بعد جزعك فهو بمعنى ادفع جزعك عن نفسك وارفعه عن قلبك بفعلِ ما يحقّق ذلك أو لا ترتّب على جزعِك من الأفعال ما لا يجوز أو لا يليق بك فعله.

يقول الطبريّ في تاريخه: «ثمّ إنّ حِجراً قال لهم -أي لما أرادو قتله- دعوني أتوضّأ، فقالوا له توضّأ فلمّا أن توضّأ، قال لهم: دعوني أصلي ركعتين فأيمُن الله ما توضّأت قطّ إلّا صليّت ركعتين، قالوا ليصلّ، فصلى ثم انصرف، فقال: والله ما صليت صلاةً قطّ أقصر منها، ولولا أن تروا أنّ ما بي جزعٌ من الموت لأحببتُ أن استكثر منها، ثمّ قال: اللهم إنّا نستعيديك على أمّتنا، فإنّ أهلَ الكوفةِ شهِدوا علينا وإنّ أهل الشام يقتلوننا، أما والله لئن قتلتموني بها إنّي لأوّل فارسٍ من المسلمين هلك في واديها، وأوّل رجلٍ من المسلمين نبحه كلابها، فمشى إليه الأعورُ هُدبةُ بن فيّاض بالسيف، فأرعدت خصائله، فقال: كلا! لقد زعمت أنّك لا تجزع من الموت فأنا أدعُك فابرأ من صاحبك فقال: مالِيَ لا

أجزع وأنا أرى قبراً محفورا، وكفناً منشورا، وسيفاً مشهورا، وإنّي والله إن جزعت من القتل، لا أقول ما يسخط الربّ، فقتله »[1]

فترى حجراً يقرّ بأنّ الجزع قد اعتور قلبه، ولكنّه لا يرتّب على جزعه أثراً أو فعلاً منهيّاً عنه، فالنهي عن الجزع في قتله نهيٌ عن ترتيب آثاره.

ومن ذلك ما رويَ عن عليّ بن عبدالله قال: سمعت أبا الحسن موسى عليه السلام قال: في حديثٍ عن عليّ عليه السلام إلى أن قال: فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**أيّها الناس إنّه ليس عليكم بحرامٍ النزول في قبور أولادكم ولكن لست آمَنُ إذا حلّ أحدكم الكفن عن ولده أن يلعب به الشيطان فيدخله عند ذلك من الجزع ما يحبط أجره**»[2]

فالنهيُ عن دخول الوالد قبر ولده لكونه مقدّمةً لعروض درجةِ جزعٍ على القلب توجب حبوط الأجر، فإذا نُهي الوالد عن الجزع عند موت ولده فقد نهي عن مقدّمات الجزع والتي منها دخول قبره.

١- **تاريخ الطبري** ج٤ ص٢٠٦: سنة إحدى وخمسين ذكر سبب مقتل حجر ابن عديّ.

٢- **الوسائل** ج٢ ص٨٥٠: الباب ٢٥ من أبواب الدفن ح٤.

تجليات الجزع وصوره

مما لا شكّ فيه أنّ للعوارض القلبيّة، والحالات النفسيّة تأثيراً بالغاً على جسد الإنسان بما هو جسد ، فيحمرّ منه الوجه ويصفرّ، وينقبض وينبسط، ويذبل ويتورّد تبعاً للعارض النفسي والطارئ القلبي، وقد ترتعد الفرائض وتضطرب الأعضاء، وتصطكّ الأسنان ويشخّص البصر، إذا استولى الخوف على القلب، كما قال تعالى في وصف المنافقين: ﴿**أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ**﴾[1] ولها تأثير بالغ أيضاً على خيارات الإنسان وقراراته، فتراه يندفع إلى اتخاذها، وتصدر عنه أفعاله وهو واقع تحت تأثيرها.

وما أروع ما ذكره مولانا أمير المؤمنين عليه السلام لبيان هذه الحقيقة

١- **الأحزاب** الآية ١٩ ص٤٢٠ .

حيث قال: «**لقد عُلّق بنياط هذا الإنسان بَضْعَةٌ هي أعجب ما فيه، وذلك القلب، وله موادّ من الحكمة وأضدادٌ من خلافها، فإن سنح له الرجاء أذلّه الطمع، وإن هاج به الطمع أهلكه الحِرص، وإن ملكه اليأس قتله الأسف، وإن عرض له الغضب اشتدّ به الغيظ، وإن أسعده الرضا نسيَ التحفُّظ، وإن ناله الخوف شغله الحذر، وإن اتّسع له الأمن استلبته الغِّرة، وإن أفاد مالاً أطغاه الغِنى، وإن أصابته مصيبةٌ فضحه الجزع، وإن عضّته الفاقة شغله البلاء، وإن جَهَده الجوع قعد به الضَّعف، وإن أفرط به الشبع كظّته البِطنة، فكلُّ تقصيرٍ به مُضرّ، وكلّ إفراطٍ له مفسد**»[1]

والجزع أحد تلك العوارض وله تجليات عديدة وصورٌ كثيرة، تتمثّل في أفعالٍ اختياريّة وأحوالٍ غير اختياريّة، ومن ذلك ما يلي:

- انقباض الوجه وتغير اللون.
- البكاء بصوت أو بغيره.
- الدعاء بالويل والثبور.

١- **نهج البلاغة** ص٦٨٥: باب المختار من حكم أمير المؤمنين ومواعظه ح١٠٩.

- إقامة النياحة والإستماع إليها.
- الامتناع من الطعام والشراب.
- المشي في الجنازة حافيا.
- ترك الاستظلال بظلّ.
- لطم الوجه وخمشه.
- الضرب على الفخذ.
- الحسر عن الشعر.
- حلّ الإزار.
- التمرّغ في التراب.
- التاوّه والتأسّف والإكثار منه.
- الصراخ والعويل.
- قول ما يغضب الربّ عزّوجلّ.
- إطالة الصمت.
- الامتناع عن الملذّات ومنها إتيان النساء.
- إتلاف النفس أو إتلاف من أعضاء الجسد.
- ترك الزينة والامتشاط والإدّهان.
- جزّ الشعر ونتفه.

- لطم الصدر.
- شقّ الجيب.
- لبس السواد.
- الإقامة عند القبر.

هذه بعض تجليّات الجزع وصوره التي ورد ذكرها في جملةً من الروايات أوردتها على سبيل التمثيل لا الحصر، وإلّا فإنّ مصاديق الجزع ووجوداته الخارجيّة عديدة ومتكثّرة، ومختلفة باختلاف النفوس والطبائع البشريّة ولأعراف والأزمان، نعم وجود قدر منها متّفق عليه لدى كافّة النّاس ممّا لا يمكن إنكاره.

إذا عرفت ذلك فاعلم أنّه لا ريب في ثبوت المبغوضيّة - الأعمّ من الكراهة والحرمة - للجزع مطلقاً فتشمل جميع أنحائه وصوره والتي عبّرنا عنها بمترتّبات الجزع -كعارض من عوارض النفس- وآثاره من أفعال المكلّف الاختياريّة، بل ورد لفظ العموم في بعض النصوص كقوله عليه السلام «**كلّ الجزع والبكاء مكروه**»[1] وهذا العموم قد يكون بلحاظِ مراتب الجزع كموجود نفسي، فإنّ له قوةً وضعفاً بلحاظ أفراده كما يُفهم من نعته بالجزع

١- **الوسائل** ج٢ ص٩٢٣: الباب ٨٧ من أبواب الدفن ح٩.

الشديد أو أشدّ الجزع، وقد يكون بلحاظ أفراده ووجوداته الخارجيّة وتجليّاته في أفعال المكلّفين كما مرّ بيانه، ونستعرض هاهنا مجموعةً من النصوص التي تناولت النهي عن بعض تلك الأفراد والوجودات الجزعيّة.

فعن الحسين بن زيد عن الصادق عن آبائه عليهم السلام قال: «**نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الرنّة عند المصيبة، ونهى عن النياحة، والإستماع إليها، ونهى عن تصفيق الوجه**»[1]

وتصفيق الوجه هنا: ضرب اليد عليه عند المصيبة.

وعن الصادق عليه السلام «**لما فتح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مكّةَ بايع الرجال، ثمّ جاء النّساء يبايعنه فأنزل الله عزّوجلّ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لا يُشْرِكْنَ بِاللهِ شَيْئًا وَلا يَسْرِقْنَ وَلا يَزْنِينَ وَلا يَقْتُلْنَ أَوْلادَهُنَّ وَلا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾**[2] **فقالت هند: أمّا الولد فقد ربينا صغاراً**

١- **الوسائل** ج١٢ ص٩١: باب ١٧ من أبواب ما يتكسب به ح١١.
٢- **الممتحنة** آية ١٢.

وقتلتهم كباراً، وقالت أمّ حكيم بنت الحارث بن هشام وكانت عند عكرمةَ بن أبي جهلٍ: يا رسول الله ما ذلك المعروف الذي أمرنا الله به أن لا نعصيك فيه، فقال: لا تلطمنَ خدّاً ولاتخمشنَ وجهاً ولا تَنتُفنَ شعراً ولا تَشقُقْن جيباً، ولا تسوّدنَ ثوباً، ولا تدعين بويلٍ، فبايعهنّ رسول الله على ذلك..»[1]

وفي حديثٍ غيره عنه عليه السلام: «**المعروف ألّا يشققن جيباً، ولا يلطمن خدّاً، ولا يدعون ويلاً، ولا يتحلقنَ عند القبر، ولا يسوّدنَ ثوباً ولا ينشرنَ شعراً**»[2]

وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام في حديثٍ قال: «**إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لفاطمة: إذا أنا متُّ فلا تخمشي عليّ وجهاً، ولا ترخي عليّ شعراً، ولا تنادي بالويل، ولا تقيمي عليّ نائحة**» قال ثمّ قال: «**هذا المعروف الذي أمر الله عزّوجلّ**»[3]

وعن زرارة عن الصادق عليه السلام قال: «**من ضرب على فخذه**

١- **الكافي** ج٥ ص٥٢٧: باب صفة مبايعة النبيّ (ص) النساء ح٥.
٢- كالمصدر السابق ح٤.
٣- كالمصدر السابق ح٣.

عند مصيبته حبط أجره» [1]

عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال قلت له: ما الجزع؟ قال: «**أشدّ الجزعِ الصراخ بالويل والعويل، ولطم الوجه والصدر وجزّ الشعر من النواصي، ومن أقام النواحة فقد ترك الصبر وأخذ في غير طريقه**» الحديث[2]

وفي قبال هذه الروايات رواياتٌ قد تعلّق الأمر فيها بطبيعة الجزع، وروايات تعلّق الأمر فيها بإظهار الجزع، كما أنّ هناك ما يعدّ الجزع وصفاً محموداً مما ينبئُ عن مرغوبيّته عند الشارع، إلّا أنّه لا عموم في جميعها لكافّة مصاديق الجزع ولا إطلاق فيها يشمل جميع أحوال المكلّف، والموارد الجزع كما في عموم قوله « **البكاء والجزع مكروه في كلّ ما جزع**» الشامل لكلّ مورد، وفيما يلي ذكر لما وقع في يدي من تلك النصوص.

روى جميل بن درّاج قال: كنت عند أبي عبدالله عليه السلام، فدخلتُ عليه إمرأة فذكرت أنها تركت ابنها، وقد قالت بالملحفةِ

١- **الوسائل** ج٢ ص٩١٤: الباب ٨١ من أبواب الدفن ح١.
٢- **الوسائل** ج٢ ص٩١٥: الباب ٨٣ من أبواب الدفن ح١ .

على وجهه ميّتاً فقال لها: « **لعلّه لم يمت قومي وارجعي إلى بيتك واغتسلي وصلي ركعتين، واجزعي وقولي: يا من وهبته لي ولم يكن شيئاً جدّد عليّ ما وهبته لي، ثمّ حرّكيه ولا تخبري أحداً، قال: ففعلت وجاءت فحرّكته فإذا هو قد بكى**»[1]

فقد تعلّق الأمر فيها بطبيعة الجزع لا بأفراده أو شيءٍ منها، فينصرف الأمر بالطبيعة إلى الفرد المباح والذي يتناسب مع مقام العبادة، لمعلوميّة حرمةِ بعض أفراد الجزع قطعاً مما يمنع الاطلاق، ولعلّ الفرد المنصرف إليه اللّفظ هنا هو البكاء، كما يمكن حمل الأمر بالجزع على الأمر بإظهار الجزع أي أظهري جزعك عليه في بكاءٍ وتضرّع، والمآل واحد.

وعن فقه الرضا عليه السلام في حديثٍ طويل: «**ولا تصلّ وأنت متلثم ولا يجوز للنساء الصلاة وهنّ منتقبات ويكون بصرك في موضع سجودك ما دمت قائماً وأظهر عليك الجزع والهلع والخوف وارغب مع ذلك إلى الله عزّوجلّ**»[2]

١- **الكافي** ج٣ ص٤٧٩ باب صلاة الحوائج ح١١.
٢- **المستدرك** ج٣ ص٨٨: الباب ١ من أبواب أفعال الصلاة ح٧.

وعن مالك الجهني عن أبي جعفر عليه السلام في حديث طويل عند جواب سؤاله له: فما لمن كان في بعد البلاد وأقاصيها، ولم يمكنه المصير إليه في ذلك اليوم؟ قال: «**إذا كان ذلك اليوم برز إلى الصحراء أو صعد سطحاً مرتفعاً في داره وأومأ إليه بالسلام، واجتهد على قاتله بالدّعاء، وصلّى بعده ركعتين يفعل ذلك في صدر النهار قبل الزوال، ثمّ ليندب الحسين عليه السلام ويبكيه، ويأمر من في داره بالبكاء عليه، ويقيم في داره مصيبته بإظهار الجزع عليه ويتلاقون بالبكاء وليعزّ بعضهم بعضاً بمصاب الحسين عليه السلام فأنا ضامن لهم إذا فعلوا ذلك على الله جميع الثواب.**»[1]

ومن الواضح أنّ الأمر بإظهار الجزع أمر بإظهار علائمه وآثاره، ومنها الإتيان بأفعال ذوي الجزع في المصيبة من البكاء وترك الزينة وأشباه ذلك، بل إنّ عموم الأمر لجميع أفراد المكلّفين، يدعو غير الجازع فعلاً أن يأتي بمثل تلك الأفعال تشبّهاً بأهل الجزع ومقدّمة تحصيله وإلّا فهذه القلوب الغافلة عن تلك الفاجعة والقاسية كيف لها أن تجزع وتضطرب حزناً على أبي عبدالله عليه السلام، ما لم تقم النياحة عليه أو تحضرها للاستماع إليها،

١- **كامل الزيارات** ص٣٣٦ الباب ٧١ ح٩.

فتبكي وتنتحب وتضجّ وتعجّ مستشعرةً ما حلّ به وبأهل بيته وصحبه، فليس إظهار الجزع مختصّاً بإظهار ما كان جزعاً فعليّاً حاصلاً في القلب، بل أعمّ منه ومن إيجاد الجزع وإظهار مقدّماته.

وفي خبر مسمع بن عبد الملك كردين مع أبي عبدالله عليه السلام: «**... قال لي: أفما تذكر ما صنع به، قلت: نعم، قال: فتجزع؟ قلت: إي والله وأستعبر حتّى يرى أهلي أثر ذلك عليّ، فأمتنع من الطعام حتّى يستبين ذلك في وجهي، قال: رحم الله دمعتك، أمّا إنّك من الذين يعدّون من أهل الجزع لنا والذين يفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا...**»[1]

قوله: «**إي والله واستعبر**» بعد سؤال الإمام له «**فتجزع؟**» قرينة على أنّ الاستعبار أثر من آثار الجزع وفعل مترتب عليه، لا أنّه عين الجزع الذي هو عارض من عوارض القلب، وهذا الحديث يعدّ الجزع عليهم أهل البيت عليهم السلام أمراً محموداً فيندب إليه الشارع، ويعِد صاحبه بالثواب الجزيل والمقام الرفيع، كما هو صريح الروايات.

١- **كامل الزيارات** ص٢٠٤ الباب ٣٢ ح٧.

وعن معاوية بن وهب عن أبي عبدالله عليه السلام: «**كلّ الجزع والبكاء مكروه ما سوى الجزع والبكاء على الحسين عليه السلام**»[1]

وعن الحسن بن علي بن أبي حمزة عن أبيه عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سمعته يقول: «**إنّ البكاء والجزع مكروه للعبد في كلّ ما جزع خلا البكاء والجزع على الحسين بن علي عليه السلام فإنّه فيه مأجور**»[2]

والعموم في الحديث الأوّل - كما هو ظاهر - لأفراد الجزع ووجوداته الخارجيّة من الآثار والأفعال المترتّبة عليه، أو لجميع مراتبه النفسيّة فإنّها متفاوتةً شدّة وضعفاً، غير أنّ الظاهر عرفاً هو الأوّل.

وأما العموم في الحديث الثاني فهو لموارد الجزع «**في كلّ ما جزع**» أمّا الجزع نفسه فغير ظاهرٍ في عموم الأفراد إلّا بناءً على القول بأنّ اسم الجنس المفرد المحلّى بالألف واللام يفيد العموم.

وعلى كلّ حالٍ، فإنّ ضمّ الحديث إلى الحديث يثبت لنا أن استثناء الجزع على الحسين عليه السلام من حكم الكراهة استثناءٌ من

١- **الوسائل** ج٢ ص٩٢٣: الباب ٨٧ من أبواب الدفن ح٩.
٢- **كامل الزيارات** ص٢٠١ الباب ٣٢ ح٢.

موارد جزع العبد، استثناء أيضاً من أفراد الجزع أو مراتبه، أو من الأعمّ منهما، فمهما اشتدّ جزع المؤمن على الحسين عليه السلام أو بأيّ فردٍ أو صورة من الصور الوجوديّة تجلّى جزعه عليه خارجاً فذاك الجزع غير مكروهٍ عند الشارع وفاعله غير مأزورٍ بل مأجورٌ عليه -وسيأتي ذكر الضابطة للفعل الجزعيّ لاحقاً-، ولعلّ ارتفاع الكراهة عن الجزع على الحسين عليه السلام بالنظر إلى أنّه لا يوجب ما يوجبه غيره من أفراد الجزع، من الآثار المبغوضة للشارع والتي عبّرتْ عنها بعضُ الروايات بأنّه «**يقطع الأمل ويضعفُ العملَ ويورث الهمّ**»[1] أو أنّه «**يظهر ما في بواطنهم من الظلمة والوحشة**»[2] أو أنّه يوجب الإثم والوزر و«**إن تجزعوا تأثموا وتوزروا**»[3] أو كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**وإن أصابته مصيبة فضحه الجزع**» فإنّ أياً من هذه الآثار لا يترتّب على الجزع على الحسين عليه السلام، بل إنّ الجزع عليه يظهر نور الباطن وصفاءه من الرحمةِ له والرقّة وشدّة الحبّ والمواساة وعمق الارتباط به وبآل

١- **المستدرك** ج٢ ص٤٢١: الباب ٦٤ من أبواب الدفن ح٩.
٢- **المستدرك** الباب ٦٤ من أبواب الدفن ح٣٢: ج٢ ص٤٢٨.
٣- **الوسائل** ج٢ ص٩١٣: الباب ٨٠ من أبواب الدفن ح٤.

بيته فكلّ هذه المعاني نورٌ وصفاءٌ باطنيّ، وليست بظلمةٍ ووحشة، بل إنّ البكاء في المصيبة لم ينهَ عنه الشارع -وإن عدّه جزعاً- لأنّه يظهر نور الباطن وصفاءه كما تقدّمت الرواية ونعيدها فعن عليّ عليه السلام قال:

بكى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند موتِ بعضِ وِلده فقيل له: يا رسول الله تبكي وأنت تنهانا عن البكاء؟ فقال: «**لم أنهكم عن البكاء وإنّما نهيتكم عن النوح والعويل وإنّما هي رحمةٌ يجعلها الله في قلب من يشاء من خلقه، ويرحم الله من يشاء وإنّما يرحم من عباده الرحماء**»[1]

وفي حديث خالد بن سدير أخي حنان بن سدير قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن رجلٍ شقّ ثوبه على أبيه أو على أمّه أو على أخيه أو على قريب له؟ فقال: «**لا بأس بشقّ الجيوب، قد شقّ موسى بن عمران على أخيه هارون ...**» إلى أن قال «**ولا شي في اللطم على الخدود سوى الاستغفار والتوبة، ولقد شققن الجيوب ولطمن الخدود الفاطميات على الحسين بن عليّ عليه السلام وعلى مثله**

١- المستدرك ج٢ ص٤٦٠: الباب ٧٤ من أبواب الدفن ح١.

تُلطم الخدود وتُشقّ الجيوب»[1].

وكون لطم الخدود وشقّ الجيوب فعلاً من أفعال أهل الجزع مما لا ينكر، وظهور قوله « **وعلى مثله تُلطم الخدود وتُشقّ الجيوب**» في جوازهما جزعاً على الحسين عليه السلام ومواساةٍ لآل البيت عليهم السلام أو تشبّهاً بأهل الجزع عليهم مما لا مدفع له، فإنّه إذا جاز شقّ الثوب على الأب والأم والأخّ أو القرابة فجوازه في مصاب أبي عبدالله عليه السلام أولى، ومثله لطم الخدّ، بل دعوى ظهور هذه الجملة في الندب غير بعيدة، فإنّها جملة خبريّة أريد بها الإنشاء والطلب أي وعلى مثله فلتلطم الخدود وتشقّ الجيوب.

١- **الوسائل** ج١٥ ص٥٨٣: الباب ٣٢ من أبواب الإيلاء ح١.

ضابطة الجزع على الحسين عليه السلام

إنّ الفعل المأتيّ به بعنوان الجزع على سيّد الشهداء أبي عبدالله الحسين عليه السلام إما أن يكون من ورائه جزعٌ فعليّ قد استولى على قلب فاعله وإمّا ألا يكون من ورائه ذلك الجزع الفعليّ ولكن يؤتى به تشبّهاً بأهل الجزع أو لكونه مقدّمةً لحصول الجزع، وعلى كلّ التقادير فإنّ الفعل الجزعيّ المأذون به أو المأمور به مشروط بأمرين:

الأوّل: أن يكون من الأفعال المتعارفة عند العرف أنّها أفعالٌ جزعيّة، أو تعبّر عن الجزع، وقد أشارت الروايات إلى جملةٍ منها.

الثاني: ألّا يكونَ الفعل محرّماً.

وذلك؛ لأنّ الاطلاق الوارد في قوله «**إنّ البكاء والجزع مكروه للعبد في كلّ ما جزع ما خلا البكاء والجزع على الحسين..**» منصرفٌ إلى الفرد المتعارف من أفعال الجزع ومقيّدٌ بغير الأفعال المحرّمة، فليس اطلاقه شاملاً لكلّ فعلٍ جزعيّ حتّى لو خرج عن المتعارف كمن إذا جزع ضرب من حوله أو كسّر أوانيه أو نزع جميع ما يستره من لباس أو فعلَ ما يفعله المجانين.

أما تقييده فبالضرورة الشرعيّة، وأمّا انصرافه إلى الفعل الذي يراه أهل العرف جزعاً، فلضرورة تحقّق الموضوع قبل تحقّق الحكم، فإذا لم يصدق على الفعل أنه جزعٌ لم تثبت له الكراهة وبالأُخرةِ لم يثبت له الاستثناء، وهذا مختصّ بالأفعال الصادرة على نحو التشبّه بأهل الجزع أو على نحو أن تكون مقدّمة لحصوله، كما هو الغالب في كثيرٍ من أفعال المؤمنين، بخلاف الفعل الذي من ورائه جزعٌ فعليّ؛ لاحتياج الأوّل إلى صدق العنوان عرفاً دون الثاني فإنّ معلوليته للجزع النفسيّ كافية في الصدق، فننتهي إلى أن الفعل الجزعيّ المأذون فيه في مصاب أبي عبدالله الحسين مشروطٌ بألا يكون فعلاً محرّماً وأن يصدق عليه عنوان الجزع عرفاً أو يكونَ من ورائه جزعٌ حقيقيّ اضطره إلى فعله.

الخاتمة

والمتحصّل ممّا تقدّم:

أولاً: إنّ الجزع هو اضطراب القلب حزناً أو خوفاً وله وجودات خارجيّة يتجلّى فيها من أحوال الجازع وأفعاله.

ثانياً: إنّ الجزع كعارض من العوارض النفسيّة له مراتب متفاوتة تفاوت الطبائع والنفوس.

ثالثاً: إنّ نسبة الجزع إلى المعصوم ليست نسبةً مجازيّة، ولا معنى الجزع المنسوب إليه معنىً مجازيّ إلّا أنّ جزع المعصوم لا يُقاس بجزع غيره فإنّ جزع كلّ نفسٍ بحسب ملكاتها.

رابعاً: إنّ الجزع له آثار ونتائج مبغوضة من قبل الشارع، ولعلّها كانت بمثابة المناط لمبغوضيّة الجزع، فمتى ارتفعت تلك الآثار

عن مرتبة من مراتب الجزع أو فرد من أفراده الخارجيّة ارتفعت المبغوضيّة وكالبكاء الذي يعدّه الشارع رحمةً يجعلها الله في قلب من يشاء وكذا الجزع على الحسين عليه السلام لأنّ الجزع عليه لا يفصح باطن صاحبه ولا يظهر ما فيه من ظلمة ووحشة بل ما يظهر صفاء ونور.

خامساً: إنّ الفعل الجزعيّ المأذون فيه في مصاب أبي عبدالله الحسين عليه السلام مشروط بأمرين:

الأول: ألّا يكون محرماً.

الثاني: أن يكون من الأفعال المتعارفة عند العرف أنّها أفعالٌ جزعيّة.

هذا ما جرى في الخاطر وجرى به القلم العاثر.

وختاماً نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من أهل الجزع لآل البيت عليهم السلام ومن الذين يفرحون لفرحهم ويحزنون لحزنهم.

والحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

يوم الجمعة ١٥/ محرم/ ١٤٤٢ هجريّة قمريّة

الموافق ٤ سبتمبر ٢٠٢٠ ميلاديّة

المصادر

١. **القرآن الكريم**.

٢. **بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار**- الشيخ محمد باقر بن الملا محمد تقيّ المجلسي، الطبعة الثانية المصحّحة، بيروت، مؤسّسة الوفاء، ١٩٨٣م (عبر تطبيق ISHIA).

٣. **البرهان في تفسير القرآن**- السيّد هاشم بن سليمان البحراني، ط الأولى، بيروت، مؤسسّة الأعلمي للمطبوعات ١٩٩٩م.

٤. **بصائر الدرجات في مناقب آل محمد**- الشيخ محمد بن الحسن بن فرّوخ الصفّار، ط الثالثة، قم، منشورات طليعة النور، ١٤٢٩هـ .

٥. **تاريخ الأمم والملوك**- محمد بن جرير الطبري، قم، منشورات مكتبة أروميّة، ١٤٠٤هـ نشر لـطبعة مطبعة الاستقامة بالقاهرة، ١٩٣٩م.

٦. **تحف العقول عن آل الرسول**- الشيخ محمد بن الحسن بن عليّ بن شعبة

الحرّاني، ط السابعة، قمّ، مؤسسة النشر الإسلامي صحّحه علي أكبر غفاري، ١٤٢٥هـ.

٧. **التحفة السنيّة في شرح النخبة الحسينيّة**- السيد عبدالله الجزائري، مخطوط (عبر تطبيق ISHIA).

٨. **تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل أحكام الشريعة**- الشيخ محمد بن الحسن الحرّ العاملي، طهران، المكتبة الإسلاميّة بتحقيق الشيخ عبد الرحيم الربّاني الشيرازي، ١٣٧٣هـ.ش .

٩. **جامع السعادات** - الشيخ محمد مهدي النراقي، ط السادسة، قم، انتشارات اسماعيليان، ١٤٢٦هـ.

١٠. **لسان العرب** - محمد بن مكرم بن علي بن منظور، ط الثالثة، بيروت، دار إحياء التراث العربيّ ومؤسسّة التاريخ العربيّ، اعتنى بتصحيحه أمين محمد عبد الوهاب ومحمد صادق العبيديّ، ١٩٩٩م.

١١. **الكافي** - الشيخ محمد بن يعقوب الكليني، بيروت، دار الأضواء صحّحه علي أكبر غفاري، ١٩٨٥م.

١٢. **كتاب كامل الزيارات** - الشيخ جعفر بن محمد بن قولويه القميّ، ط الأولى، بيروت، دار السرور بتحقيق مؤسسة نشر الفقاهة، ١٩٩٧م

١٣. **كتاب من لا يحضره الفقيه** – الشيخ محمد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القميّ، ط الخامسة، قمّ، مؤسسة النشر الإسلامي بتحقيق علي أكبر غفاري، ١٤٢٩هـ.

١٤. **مستدرك الوسائل ومستنبط السائل** – ميرزا حسين النوري الطبرسي، الطبعة المحقّقة الأولى، بيروت، مؤسّسة أهل البيت لإحياء التراث، ١٩٨٧.

١٥. **معجم الفروق اللغويّة** الحاوي لكتاب أبي الهلال العسكري وجزءاً من كتاب السيّد نور الدين الجزائري، ط الثانية، قم، مؤسسّة النشر الإسلامي، ١٤٢١هـ.

١٦. **مفردات ألفاظ القرآن** – الراغب الأصفهاني، ط الأولى، دمشق دار القلم، بيروت الدار الشاميّة تحقيق صفوان عدنان داوودي، ١٩٩٦م

١٧. **مقاييس اللّغة** – أحمد بن فارس بن زكريّا، ط الأولى، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات رتّبته وصحّحه إبراهيم شمس الدين، ٢٠١٢م.

١٨. **نهج البلاغة** – الشريف الرضي محمد بن الحسين الموسويّ، ط الرابعة، بيروت، دار البلاغة بشرح الشيخ محمد عبده، ١٩٨٩م.

١٩. **الوسائل ومستدركها** – الشيخ محمد بن الحسن الحرّ العاملي، وميرزا حسين النوري، ط الثالثة، قمّ، مؤسسّة النشر الإسلامي، ١٤٣٦هـ.

الفهرس

المقدمة ٧

مفهوم الجزع لغة ٩

مفهوم الجزع اصطلاحاً ١١

لوازم الجزع وآثاره ١٧

نسبة الجزع إلى المعصوم ٢٣

وقوع الجزع متعلّقاً للأمر والنهي ٣٣

تجليات الجزع وصوره ٤١

ضابطة الجزع على الحسين عليه السلام ٥٥

الخاتمة ٥٧

المصادر ٥٩